

حلبجة .. شهادة التاريخ على وحشية الفاشست البعثيين والضمير الغائب



النصب الموجود داخل مقبرة الشهداء في حلبجة

وداد فاخر *

مدينة الشهادة :

كنا جميعا حضور داخل متحف الشهداء في مدينة حلبجة الشهيدة نحن الحضور من الأحياء الشهداء على زمن وعصر الجريمة البعثي الفاشي ، وأرواح وأسماء وصور ومجسمات الشهداء الذين ذهبوا يشكون ظلم الفاشست القتلة من البعثيين الذين أطلقوا غازاتهم الكيماوية السامة عليهم وهم يعيشون آمنين في بلدتهم الصغيرة دون أن يكون لهم أي ذنب فيما جرى من حرب كارثية ظالمة أشعلها النظام الفاشي ضد إيران .
فما يسمعه المرء من جريمة طبقت بصورة جماعية على سكان مدينة باجمعهم غير ما يراه على ارض الواقع عند زيارة المدينة الشاهد الدامغ لجرائم البعث ضد البشرية وعمليات التطهير العرقي التي جرت بكل برودة دم من قبل الحكام العفالقة ضد أبناء الشعب الكردي . وعرفت جريمة الإبادة الجماعية بأنها " الأفعال التي ترتكب عن قصد لتدمير كل أو جزء من جماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية" ، فقد اعتمدت الأمم المتحدة في العام 1948 اتفاقية لمنع الجريمة والإبادة الجماعية وحددت العقوبة المفروضة على مرتكبيها ، ودخلت الاتفاقية حيز التطبيق عام 1951 ثم أنضم العراق إلى الاتفاقية عام 1959 .
لكن هل التزم النظام البعثي الفاشي بالاتفاقية الدولية في كلا من زمني الحرب والسلم داخل الأراضي العراقية وحتى دول الجوار؟.

دلائل على الجريمة :

مما يثير الألم والأسى إن الكثير من السياسيين والمثقفين والإعلاميين وخاصة من دول (العروبة) لا زالوا يتجاهلون بكل إصرار جريمة حلبجة المروعة التي ذهب ضحيتها 5000 مواطن كردي برئ باجمعهم من سكان مدينة حلبجة . أو إن البعض يرمي بتهمة الجريمة على المجني عليهم مرددا معزوفات غريبة ألفها وعاظ السلاطين من الإعلاميين الذين كانوا يسرون تحت مظلة النظام الفاشي من جماعة متلقي هبات وهدايا السلطان . وقسم آخر يرمي بالتهمة على إيران بطريقة غريبة مبنية أصلا على الباطل القصد منها فقط تبرئة النظام الفاشي والمجرمين الذين نفذوا الجريمة وياعتراف صريح من البعض منهم وخاصة المنفذ الأول للجريمة (علي كيمياوي) – علي حسن المجيد – داخل المحكمة الجنائية العليا .



أحد المقابر الجماعية الثلاث الذي يضم 1500 شهيد

وهناك أدلة دامغة عديدة تشهد على استعمال النظام البعثي للأسلحة الكيماوية ثبتتها تقارير منظمات دولية وأشخاص قريبين من سلطة الحاكم الدكتاتور . فتقارير منظمة مراقبة حقوق الإنسان تشير إلى قيام سلطة صدام باستعمال السلاح الكيماوي (الذي يطلق عليه العتاد الخاص) أكثر من مرة وفي أكثر من مكان ، حيث ورد بتقرير السيد أندرو ويتلي المدير التنفيذي لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان / الشرق الأوسط (أن منظمته سجلت أربعين هجمة متفرقة أستعمل فيها الأسلحة الممنوعة ، وأن الضحايا في الغالب من المدنيين) . وشهادة بالصوت والصورة لرئيس أركان الجيش آنذاك نزار الخزرجي الذي ادعى بان لا علم له بالضربة الكيماوية ولذلك اتصل بوزير الدفاع عدنان خير الله لطلب الفلاح الذي أنكر هو الآخر معرفته بالضربة الكيماوية وسيستعلم من القيادة الخبر وفعلا وبعد ساعة ونصف اتصل به وزير الدفاع ليخبره بأنه علم من صدام شخصا وهو القائد العام للقوات المسلحة حينها بان الطائرات عراقية والضربة عراقية ونفذت بأمر شخصي من صدام لكون المدينة حسب ادعاء استخبارات علي كيميائي قد سقطت بيد القوات الإيرانية فطلب صدام قصف المدينة بمن فيها من المدنيين بالأسلحة البيولوجية .

كما اعترف في حديث لإذاعة العراق الحر التي كانت تبث من العاصمة التشيكية في براغ العميد الطيار المتقاعد جودت مصطفى النقيب قائلا : ان طائرات النظام العراقي الفاشي هي التي قصفت مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية في آذار 1988 ، وقال العميد الطيار جودت مصطفى النقيب : إن طيران النظام قام أولا بقصف المدينة بالقتال العادية ، ثم أغار عليها بالقتال الكيماوية ، وأوضح، إن الطائرات التي شاركت في ضرب حلبجة بالأسلحة الكيماوية ، انطلقت من ثلاث قواعد جوية تابعة للنظام ، هي (قاعدة البكر وقاعدة صدام وقاعدة كركوك) ، كان العميد جودت مصطفى النقيب يشغل منصب مدير ادارة السلامة الجوية في القوة الجوية العراقية ، قبل احواله على التقاعد في تموز 1988 وكان احد ضباط غرفة العمليات في اليوم الذي قصفت فيه حلبجة ، وهو يوم 16 آذار 1988 .

كذلك التقارير الطبية الصادرة عن المستشفيات الألمانية والنمساوية التي تم نقل المصابين إليها وشهادة الطبيب النمساوي في المحكمة الجنائية العليا الذي عالج المصابين البروفيسور كيرهارد فالنكر .

ومن قبل وفي العام 1985 جرت معارك شرق دجلة التي احتل فيها الإيرانيون القرنة والعزير عبر هور الحويزه وتمكنوا من الوصول إلى الطريق العام بصره- عمارة في قاطع العزير واحتلوه وقطعوا الطريق العام لبغداد ، يومها أذيع من إذاعة بغداد في فجر اليوم التالي تصريح للناطق العسكري جاء فيه نصا ما يلي : تم إبادة الحشرات الضارة وتحرير الطريق العام بين بغداد والبصرة من يد الفرس المجوس . واضع هنا خطأً تحت عبارة (تم إبادة الحشرات الضارة) داعيا الجميع لإعادة قراءتها وتفسيرها بمطلق الحرية .

كذلك حصل نفس الحادث ولكن بشكل آخر مغاير عندما تم احتلال منصة ميناء البكر في البصرة على رأس الخليج من قبل القوات الإيرانية أثناء الحرب العراقية – الإيرانية حيث تم اتصال قائد قوات شرق البصرة بالقيادة العامة للقوات المسلحة واخبروهم باحتلال منصة ميناء البكر وبأسر عدد كبير من القوات العراقية حيث جاءتهم التعليمات من القيادة العامة وبعد ساعة تقريبا وبالضبط من القائد العام الذي كان صدام شخصا بقصف المنصة بمن فيها لـ (تحريرها) من (الفرس المجوس) وهكذا تم إبادة القوات الإيرانية مع أسراهم من العراقيين بواسطة نيران كثيفة من القوات العراقية المرابطة في شرق البصرة .

ومما يدين كل المدافعين عن الجريمة وصاحبها وللآن الحكم القضائي الذي أصدرته احد المحاكم الهولندية على المتهم فرانس أنرات بالسجن لمدة 15 سنة لتزويده نظام صدام البائد بالمواد الكيماوية التي سهلت ضرب مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية .

صور مؤلمة من داخل متحف حلبجة :

مثلت أسماء الشهداء المكتوبة على جدران المتحف وصور البعض منهم والمجسمات الموضوعية في مشهد تراجيدي مؤلم للغاية إدانة كبيرة للجريمة البشعة التي اقترفتها الفاشست العنصريين، حيث يتحدث بكل حرقة عن بشاعة وحجم الجريمة المجسم الذي يمثل مأساة حلبجة ورمزها للشهيد عمر خاور وهو يحمي طفله ساقطا على الأرض أمام عتبة داره يوم المأساة في 16 . 03 . 1988 ومعه باقي المجسمات للمدينة الشهيدة .



الشهيد عمر خاور رمز مأساة حلبجة

ولا ادري لمَ لم يكلف أي من المدافعين عن مقترفي جريمة حلبجة نفسه بالنظر لصورة الطفلين الوديعين اللذين كانا متكنين على حائط احد البيوت وقد اسلما روحيهما إلى الباري العزيز حيث حسبهما المصور الذي التقط الصورة أول الأمر من ضمن الأحياء وحاول أن يوفر لهما وسيلة لنقلهما بسبب من جلستهما الطفولية الوديعية وحالة الاسترخاء التي كانا عليها بكل براءة الأطفال ، وكل ظني أنهما كانا سارحين بالفكر في جلستهما متكنين على الحائط بانتظار ارتداء ملابسهما الجديدة يوم عيد النوروز الذي كان سيحل يوم العشرين من آذار حيث يكون كل عام .



صورة أخرى للدلالة على الوحشية التي اقترفت بها الجريمة صورة الطفلين الوديعين

ولان الجريمة ثابتة والقرائن متوفرة ضد مقترفيها فليس المطلوب منا إثباتها بقدر مطالبة أصحاب الضمان الميته بالكف عن إيجاد الذرائع والحجج للقاتل وعدم الدفاع عن الجريمة والرجوع لجادة الحق دانما فمهما تحجج البعض وأسبغوا على القتلة من أوصاف وألقاب على مر التاريخ لم يستطيعوا محو جرائمهم التي سطرته كتب التاريخ بمداد اسود قاتم .

هل يكفي فقط أن نعرض معالم الجريمة؟ :

في حديث مع مدير متحف حلبجة الأستاذ سرخيل غفار حمه خان ومسؤول الأعلام الأستاذ محمود حمه أمين محمود وبقية الأخوات والإخوة رئيس وأعضاء المجلس البلدي لحلبجة الذين كانوا في استقبالنا تركز الحديث حول ضرورة التثقيف المستمر بمدى فداحة الجريمة والجرائم الأخرى التي قام بها النظام الفاشي السابق ، ومدى الأضرار الإنسانية والطبيعية وما نتج عن ذلك من مشاكل صحية للمواطنين الذين حالفهم الحظ وبقوا على قيد الحياة بعد الجريمة ، وأهمية البحث الدائم والاستقصاء عن النتائج الكارثية التي لحقت بالمواليد الجدد ، وكذلك ضرورة فحص التربة والنباتات والحيوانات نتيجة للتلوث بالمواد المشعة والبايولوجية السامة المتخلفة في التربة نتيجة الضربة الكيماوية وأثرها على المواطنين مستقبلا .



أسماء الشهداء مسطرة على جدران المتحف

وأهمية التثقيف تتركز على توعية المواطنين بفداحة وخطورة الفاشية التي لم تتورع عن اقتراح جريمة حلبجة والجرائم الأخرى كالأطفال وجرانم الاهوار ومقابرها الجماعية ، وان يهتم خصوصا بالجيل الجديد لكي يعي ويرفض أي فاشية أو دكتاتورية قادمة .

في حضرة شهداء حلبجة داخل مقبرة الشهداء:

واستكمالاً لزيارة المدينة الشهيدة كانت اخر مرحلة لنا هي في زيارة مقبرة الشهداء التي تصدرت مدخلها لافتة جميلة كتب عليها بلغات ثلاث الكوردية والعربية والانكليزية عبارة تقول (ممنوع الدخول للبعثيين) ، وهي أجمل ما راينا في المدينة .



مدخل مقبرة الشهداء في مدينة حلبجة وعبارة تقول (ممنوع الدخول للبعثيين)

وتضم المقبرة ثلاث مقابر جماعية لمن دفن من شهداء حلبجة بينما تم دفن الباقي من الشهداء في الدول التي تم نقلهم إليها بعد إصابتهم وتوفوا فيما بعد من اثر الإصابة بالمواد الكيماوية كـ (مقبرة بهشت زهراء) في إيران .

في حضرة الرموز من قبور الشهداء :

وخلف نصب الشهداء في الجزء الاخير من المقبرة امتدت شواهد فوق قبور رمزية لشهداء ضحايا القصف الفاشي بالغازات الكيماوية السامة كي يترك المجال امام آل الشهداء كل على حده للاختلاء بنفسه وزيارة شهيدته حيث بدت القبور مترابطة وممتدة على مسافة طويلة طويلا وعرضا تحكي قصة الجريمة البشعة التي أقترفت بحق أبناء المدينة الثكلى التي فجعت خلال لحظات بالغالبية العظمى من سكانها .



القبور الرمزية لشهداء مدينة حلبجة

سالت مدير المتحف سوآلا عابرا وكل ظني انه سيجيبني بالايجاب هل زار المسؤولين الجدد للعراق الجيد ومجلس نوابه المدينة الشهيدة وشهدوا مقبرة شهدانها ؟ ، رد علي الأستاذ سرخيل غفار حمه خان بكل أسى بالنفي .. قلت مستطرذا : أما كان الأجر بمجلس نوابنا أن يستذكر مأساة المدينة ويوجه أنظار الإعلام المحلي والإقليمي والعالمي بعقد جلسة خاصة في يوم 16 آذار من سنة من سنينه الأربعة التي قضى أكثرها في جدال فيما بين نوابه في أحيان كثيرة في أمور شبه عقيمة ؟؟؟ .

سلام أيها الشهداء:

مع انتهاء مراسم الزيارة كان يلفنا الصمت والخشوع والحزن الذي تجدد بمرآى آثار الكارثة الكبيرة ، والضمير الذي لا زال غائبا ضمن دفات قلوب البعض المعفر بالحقد الدفين على كل ما هو إنساني . ولكن تبقى شواهد المأساة تلاحق القتلة والمجرمين وكل من يحاول أن يتستر عليهم ابد الأبدين .

* كاتب وصحفي عراقي / رئيس تحرير جريدة السيمر الإخبارية الالكترونية

www.alsaymar.org

التحقيق الصحفي المنشور في جريدة الاتحاد البغدادية بتاريخ 13 . 06 . 2009